

## ناصر قنديل

الصباحات على عدد أيام الأسبوع ، تفتتح «حديث الجمعة» كالمعتاد . وبعد «قالت له» عن الحَبِّ ومعناه والوداع والافتراق ، تشدو المشاركات بالحديث عن البحر والموج والسفر والقدْر، والحَبِّ والجنون والشكِّ واليقين . وقبل الختام بـ«المختصر المفيد»، والحديث عن روسيا والدرع الصاروخية وعلاقة مستقبل أوروبا بذلك، كان لا بدَّ من زاوية «طارئة»، من أجل توضيح ملابسات حول ما جرى في برنامجِ حوارِيّ استضافني، وكان الضيف المقابل أضعف من المنازلة حوارياً، فلجأ إلى سلاح الضعفاء... السباب والشتمية .

*2015/5/8*

رأى الصباح في الطريق حفراً كثيرة، وتوقع تآرجح عربات الخيل على أطراف الوديان، ومخاطر السقوط والترنّج للفرسان، فتابع السير على رؤوس أقدامه ليكتشف أنها نهاية الطارية، وأنَّ المتبقي مجموعة متعطفات قصيرة لا تحتاج إلا إلى قلوب هائلة ونفوس هائلة وأعصاب من جليد وآباد من حديد، فالتفت نحو القافلة وقال: بينكم وبين النصر الميمون مسافة قبضةً يد، فاقتمحوا القلمون واحتقلوا بنصر السيد والأسد.

*2015/5/9*

يسير الصباح على أطراف مملكة سبأ ويضع حدود جنة عدن، ويحوط بالشمس صحراء حضرموت ويعلم أن بين قبضة شبان ضئلي الحجم سيكتب تاريخ العمران من صنعاء، فيسك حبيبات رمل من الصحراء ويحاول تغيير جغرافيا الشاطئ في عدن. كلما رمى فيه رملاً صار حجارة براكين. حتى تعب الصباح وقال: لا بدَّ أنَّ حريقاً قد مضى لا تطفئ نيرانه المياه ولا الرمال، أو أن حجارة البراكين كانت نبوءة بلقيس بالحريق الآتي. فيقول الصباح: جاء الحريق واستاقت بلقيس وعاد السدُّ يجمع المياه العذبة، وستعود الخضرة إلى تعز ولحَجِّ والضالع ويافع، وما هو اليمن يقترب بلا رمال من شاطئ عدن.

# البناء



## صباحات

*2015/5/10*

وقف الصباح شرق القلمون فقال: بيروت من الغرب. ووقف غرب القلمون فقال: دمشق من الشرق. ووقف شمال القلمون فقال: القدس جنوباً. ووقف جنوب القلمون فرأى حلب وقال: من هنا تشرق شمس الشرق وتكتب حضارته من جديد، ومن هنا تصان دماء اليرموك وحطين وميسلون. وكلها مرّت من هنا على سهوات الخيل. ومضى الصباح يقول: سلامي لخير الدين أسالوه عن القلمون وأين تقع عنجر، قبل أن تردّوا وراء فيروز «بني رام مع العسكري».

*2015/5/11*

يتوهّم الذين يعتقدون أنّ النصر في الحروب يصنعه المزيد القتل، لا بل العكس هو الصحيح، فغالبية الذين انتصروا في الحروب كان قتالهم أكثر من قتلى المهزومين. وضرب الصباح المثل ببني «إسرائيل» وبني سعود أماسة العصر ومهزلته مما... وقال الصباح: ينتظر النصر وقف القتل ليظهر كما ينتظر الصباح... صباحكم نصر.

*2015/5/12*

قال الصباح: رأيت الشمس تطلع من خلف قمة المقاومين ولم أشهد قمم

الصلاروخية في دول الخليج بدلاً من أوروبا، وبذلك تتحقّق أربعة أهداف مما.

الهدف الأول دفع إيران إلى عدم التصرّف كمنصّصر على الساحة الإقليمية بنتيجة التفاهم حول ملفها النووي، وأخذ الكثير من بريق الانجاز ووجهه، ونقل الخطاب الإيراني من خطاب الاحتفال والنصر إلى خطاب مواجهة المزيد من التحديات. والهدف الثاني استنزاف المال الإيراني الوافد بحصيلة التفاهم النووي وفك الحصار والعقوبات، ودفع القيادة الإيرانية إلى سياق تسليح يستنزف الكثير من الموارد ويكون خلافاً للذي اتفق على الملف النووي، غير قابل للاستثمار في المجالات التنموية والعلمية وتحقيق المزيد من التقدم عمرانياً واقتصادياً. أما الهدف الثالث، فالتحكّم بالإنظمة الخليجية المذعورة من إيران عبر مساومتها مالياً وسياسياً على الأثمان التي ستدفعها لقاء نشر هذه الدرع الصاروخية لحمايتها من خطر إيرانيّ مفترض وغير موجود. ففي السياسة تضغط واشنطن لتغييرات هيكلية على قادة الخليج انطلاقاً ممّا تشهد قمة «كامب ديفيد» من طلبات أميركية واضحة باعتماد أنظمة

تقترب من مفهوم الملكية الدستورية ونموذجها. ومالياً سيكون لواشنطن أن تفرض الثمن الذي تراه للدرع الصاروخية ولتشغيلها وحمايتها وأكلاف الخبراء وقطع الغيار وسواها من المستلزمات التي تقدر بمئة مليار يورو بداية، وعشرة مليارات كل سنة، وهو نتاج لا يوفّر بالنسبة إلى واشنطن. أما رابع الأهداف، فهو التوازن الذي سينتج عن نشر هذه الدرع الصاروخية في المنطقة التي يشكل الخليج قلبها والتي كانت المعارضة الوطنية فيها تستعد مع تطورات المنطقة، خصوصاً نهاية حرب اليمن، بفشل سعودي ذريع، لإطلاق عملية نهوض سياسي تسمح بالدفع نحو تغيير يتخطى مجرد المشاركة الشكلية في الحكم والنزوة، إلى الشراكة في صوغ السياسات العليا لبلادها، وما يطال ضمنون الاستقلال الوطني، وبالتالي العلاقة بواشنطن كمشروع هيمته يصادر القرار الوطني، والتي ستجد نفسها محاصرة مع هذا التطور بما يعقد مهمتها ويجعل الوصاية الأميركية على الحكم والقرار أشد متانة وتعقيداً.

جولة مواجهة جديدة سيّجّه نحوها الخليج هذه المرة، وسيكون لهذه المواجهة إذا نجحت واشنطن في ما تخطط له، امتداداتها لسنوات مقبلة.

وجه وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف في ختام لقائه وزير الخارجية الأميركي جون كيري.

ماذا ستفعل واشنطن؟

لم تعد واشنطن بعد سنوات المواجهة التي شهدتها ساحات عالمية كثيرة في نفسها التي كانت قبيلها، لأنّ أوّل ما تغيّر كان التوازن العسكري في أوروبا بتأثير نتائج حرب أوكرانيا التي انتهت أو هي في طريق النهاية، وفقاً لما رسمته وهياته روسيا بعدما نجحت بوضع اليد نهائياً على شبه جزيرة القرم، التي أمسكت عبرها بعنق البحر الأسود من جهة، وبوسط أوكرانيا من جهة أخرى، وببوابة جورجيا من جهة ثالثة. ومع كل ذلك أفهمت أوروبا أنّ الطريق إلى التكتك يبدأ من العبث بخطوط الفواصل بين المذاهب الدينية وتقسيم أوروبا على أساسها، إضافة إلى الرسالة التي لا تقلّ قوة عن عزم موسكو على خوض المواجهة حتى النهاية دفاعاً عن مكانتها ودورها العالميين؛ ولكن أولاً وأخيراً، مكانتها ودورها في أوروبا، وأنها مستعدة لتحمل العقوبات والحصار إذا كان هذا هو الثمن الذي سيترتب على هذا الثبات.

أوروبا تغيرت أكثر مما تغيرت أميركا، وظهرت في ذورة المواجهة أصوات أوروبية تدعو إلى إعادة النظر في المواجهة مع موسكو، إما من باب الحرص على وحدة الكيانات الأوروبية التي بدت مهددة إذا ما تفجرت حرب الأرتودكس والكاثوليك في أوكرانيا، وبدأت كرة النار تلقهم وحدة دول كرومانيا وبلغاريا وغيرها، أو من زاوية الآثار الاقتصادية لسياسة العقوبات والحصار على روسيا، فخرجت كل من فرنسا وألمانيا كقوتين تقليديتين تمسكان بالقرار الأوروبي، تضعان أولوية الحساب لخسائر الشركات الأوروبية من جراء الحصار والعقوبات على روسيا. وأوروبا هذه ستكون أشدّ انفتاحاً على روسيا بعد صوغ التسويات الجديدة من دون الدرع الصاروخية التي لا تشكل حاجة أوروبية بقدر ما كانت حاجة أميركية، والتي كان على أوروبا تسديد أكتافها وتحمل تبعاتها فقط، بينما لعلاقة تعاون أوروبي-روسي مزيد من النتائج الإيجابية على أمن أوروبا واستقرارها، من جهة وأزهار اقتصاداتها من جهة أخرى.

أميركا لن ترمي الدرع الصاروخية في البحر. فقد وجدت في التفاهم مع إيران من جهة، والخوف الذي يتنامى في الخليج بعد فشل حرب اليمن من جهة أخرى، سببين للتفكير بنصب الدرع

عندما قرّرت واشنطن خطة الدرع الصاروخية ونشرها في أوروبا، خصوصاً في الشطر الشرقي منها، لم تكن تستشعر خطر حرب مع روسيا ولا مع إيران، بقدر ما كانت ترمي إلى ثلاثة أهداف: الأول، تعزيز ميزان الردع في وجه روسيا وإفهامها أن صواريخها الباليستية التي تشكل قوة هجومية يعتدّ بها، صارت مدعوة إلى حل عقدة القدرة على اعتراضها من شبكة صاروخية معقدة تغطي مجموع زوايا الحركة المفترضة للصواريخ الروسية، وما يعينه نشر هذه الشبكة لاسترداد شبكة الصواريخ الروسية عافيتها الردعية، من فرض المزيد من الجهود والتطوير، أمام وجود شبكة صد واعتراض مرؤدة بأحدث تقنيات التعرّف إلى حركة الصواريخ مروبوطة بالأقمار الصناعية، وباحدث شبكات الرادارات.

والهدف الثاني، يتمثل في ما سيترتب على نشر الدرع الصاروخية لهذا الاعتبار من إنفاق ماليّ يستنزف مقدرات روسيا المالية، إذا أرادت الحفاظ على التوازن العسكري الذي تظن أنها تمكّله في وجه الغرب، وما عليها من تبعات جذية للحفاظ على مستواها. ولهذين السببين قامت روسيا لتفك على قدميها بكامل قاتمها، وتجنّب من مشروع الدرع الصاروخية سبباً كافياً لتوتر واشتباك كادا يصلان إلى حافة الحرب خلال سنوات وضع الفكرة في التداول.

أما الهدف الثالث للشرع، فقد تمثّل في منح قوتي معارضة في دول ليست من دائرة النفوذ التقليدي للغرب عسكرياً، ولا هي جزء من الحلف الأطلسي، في وقع الجوار القريب من روسيا، الطامنتية الكافية لخوض المواجهات سعياً إلى استلام الحكم والرهان على تشكيل الدرع التي تشمل تغطيتها أجواء هذه الدول سبباً لمنع الجيش الروسي من التدخل في النزاعات المتوقعة على الحكم في هذه الدول، طالما سلاح الجو الروسي سيكون عاجزاً عن التحليق في سمانها بوجود صواريخ قادرة على التحرك للليل من طائراته. خاضت روسيا من ضمن معاركها لاسترداد مكانتها كقوة علمي في العالم مواجهة ضارية، عنوانها منع نصب الدرع الصاروخية في أوروبا، واعتبرتها عملاً عدوانياً على أمنها القومي. وتحول الأمر إلى بريق دائم في المفاوضات الأميركية ـ الروسية، والأوروبية ـ الروسية، وفي نزوة المواجهة التي دارت حول سورية وإيران وتالياً حول أوكرانيا، بقيت الدرع الصاروخية قضية روسيا السياسية كعلامة جذية على التوصل لتسوية، وهذا ما بدأ أن النجاح فيه يقترب، وأنه مصدر الإنشامة التي شاهدناها على

## قالت له

قالت له: أشعر بأنك تعاملني بقسوة لا استحقّقها؟ فكلّ خلاف في الرأي تعتبره خصومة. فقال: للحب شرطان. أولهما أنّ نقيس معاملتنا مع الحبيب بمعاملتنا من لا يحملون هذه الصفة، وثانيهما أنّ نقيس ما نقوله للحبيب كما لو كنّا نسمعه منه. فهل تفعلين؟ فقالت: لا أفعل لأنني أشعر أن دلاّك هو تعبيرك عن الحب. فيغريني لأنك كما أنا لاكما عامل غيرك بحسابات اللياقات، وأنّ أعمالك لا كما تعاملني بل بتسامحك مع الحقوق والواجبات. فقال لها: عندما يصبح التسامح من جهة واحدة، يكون الحبّ من طرف واحد. وعندما يصير منح الأفضل للحبيب يحثنا إلى جهد اللياقات، صار الحبيب إضافة نستخدّمها لممارسة الفوضى، وصار الشعور بالدلال شعوراً ضمئياً يضعف الحبيب وعجزه عن الاستغناء، وهذا الشعور وحده يكفي لطلب الوداع.

قالت له: عرّف لي الحبّ بكلمات لا تنتهي بتغيّر الأزمان.

فقال لها: الحبّ نبض يداهمنّا لحظة، ونمضي العمر في مطاردته.

قالت: وهل يكون قد رحل؟

فقال لها: الحبّ الذي يرحل قبل أن يترك وراءه ذكرى، يكون وهماً. والذكرى متى كانت بلا إشراقة وجه ونور يطفو على القلمات، كانت محاولات الحبّ أسمى من وقائعها. ومتى كانت الذكرى حاضرة بوقائع الحياة لا مجرد بوميات اللقاء وذكريات الكلمات، صار الحبّ حياة.

ومتى كانت الذكرى كلمات وهسات ولمسات وبسمات، صار حبّ الطفولة.

قالت: ومتى يستمر الحبيبيان؟

فقال: عندما تكون الذكرى بينهما طفولة جديدة تنمو فيستمر الحبيبيان بإقتلان ليستمرّ

الحب.

قالت: وإن حدث الافتراق؟

فقال لها: يكون لهما أو لأحدهما من يخفيه من الذكريات بوقائع الحياة وللاّخر ما يخفيه من الكلمات والبسمات والهسبات، أو يكون لأحدهما ما يستحقّ أن يخفي باقي الحياة يقاتل لأجله أكثر من الحبّ، وربما حبّ جديد يبحث عنه أو يبنيه بدلاً من أن يلاقيه.

قالت: ونحن؟

فقال: نحاول تغيير وصف الحبّ وتعريفه لتعطيني لما سيكون بيننا.

قالت له: لقد حان وقت الوداع، ولا أريد وداعاً بدموع.

فقال: فليكن الحفل شموعاً وأزهاراً وموسيقى ورقصة الظل والضوء.

قالت: وبعد ذلك؟

قال: نغفوّ أحياناً على زند الآخر، ومن يستيقظ أولاً يرحل بصمت.

قالت: وإن تلاقفت عينا عينا بعدنّ؟

فقال: نحاول أحياناً التعامل بغرابة التعرّف من جديد عساه يكتشف سبباً للحبّ الذي كان.

قالت: لكنني لا احتاج إلى سبب، فإنا أعرف ما فيه الكفاية.

فقال: إنا احتاج لأن ما يقوى على الحبّ هو الموت فقط، والحبّ الذي يهزمه ما دون الموت من أسباب الحياة، ربما له اسم آخر.

قالت له: تجمعنا دائماً صدقة. لا المسافات حلت، ولا الذكريات اختفت. تخليت عنك قبل سنتين، لكنك ما زلت إليّ قلبي الآرقب.

قال لها: هم غثروك وعن لساني كذبوا واقتعوك. حذرتك: الإصدقاء ربما يكونون فعلاً دنيئين. لكنك سافرت، ومفتاح وجودي معك أخذت. الآن لا يهم ما تفكرين به، سنقاوم. أمسكي يدي فانا بحاجة إلى إدراك أننا معاً. لا وجود للصدقة، كل ما يحدث لنا في الحياة مكتوب. كان من الجيد أن نفرقت لندرك حقاً ما يعنيه واحداً للآخر.

قالت له: أصغ لنفسك عندما تحدثني أو تتحدّث عني. رفيع جداً الخيط بين الحبّ والتملك، بين الثقة والشك. لم نتجادل يوماً لكن العلاقة انتهت. كل ما أرذته في الحياة شجرة إليها أستند، لكن قريب كان مجرد غصن. لا شيء يخفتي بمجرد أنك لا تريد أن تراه. من يغمض عينيه في الحياة... جبان.

قال لها: احتاج إليك كمجنون، لا لتتركيني وحدي في الحياة، لا لسماة لا انتجاد لحدود.

ليس جميلاً أن يموت ببطء محزون.

قالت له: لا شيء يمزّ بسهولة، والناس أبدأ لا يخفنون، الوحدة مريرة جداً، لكن ما لا يدوم لا يدوم. دائماً سأضحك، وليس لهذا علاقة بالزمن.

رانيا الصوص

## مشاركة

أيها العابر في الدنيا، الاثتوقف قليلاً فتمتال البحر!

ليس الأمر مجرد وقفة، أو رؤية ما لم تالفه عيناك. إنه البحر!

ما أكثر العيون التي خلعت عليه نظراتها، فعاتت خاوية! وما أصفى العيون التي تعلقت بأمدائه، ورحلت مع مده، فضاعت بين أمواجه، أو غابت في أعماقه!

رائعة تلك الأمواج، عظيمة سرحها... يرونها تتسابق والحياة، غافلة، أنها سائرة نحو الهاوية!

وأراها تغالب الحياة، وهي مدركة، يا بحرنا، أنها ستؤوب إلى شاطئك... يرونها تجاري الرياح، وتتكسر، وأراها تقارعها وتبتصر...

يرون في تحديها الصخور، تبددوا وزوالاً، وأرى فيه تجنداً وأقبالاً...

يرون في سفرها الأمل، وأرى فيه الإلهام، ويرون في وصولها النهاية، لكنني فيه، أرى البداية! وبين اللابدائية واللائهائية: بحرٌ، وأمواج وسفر، أنت وأنا، والقدّر!

سحر عبد الخالق